العمل الخيري
ودوره في تحقيق التنمية المستدامة

دراسة تأصيلية تطبيقية

الباحث

إياد عبدالحميد نمر

المقدمة

الحمد لله الذي تعبدنا بأعمال الخير، وجعل أهل الخير أحب الخلق إليه، ووعد بامتداد الأعمار والأجور بامتداد هذا الخير، والصلاة والسلام علىٰ معلم الناس الخير، الداعي إلىٰ الخير والمبعوث للعالمين برسالة الخير، وبعد

فإن مفتاح سعادة المؤمن في الدنيا والآخرة في تحقيق الإخلاص للخالق وفي تقديم النفع للمخلوق، ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ والعمل الخيري في الإسلام عنوان للإيمان، وطريق لصلاح الحال والذريّة، وبوابة للتوفيق والبركة، والحق أن الإسلام يحمل أتباعه (خلفاء الله في أرضه) علىٰ الإيجابية في المجتمع وتحمل المسؤولية تجاه الكون، ويدفع عنهم الأنانية والخمول،قال الله تعالىٰ:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [الحج:٧٧].

وشمولية العمل الخيري وتنوعه التي تتجاوز حدود الفرد إلىٰ المجتمع، ومحيط المرء إلىٰ البيئة والكون من حوله، والعمر المحدود إلىٰ الأجيال من بعده، هي الحل الأمثل، والعلاج الأنجع لتحقيق سعادة الإنسان في مجتمعه ومعه، وإزالة القلق من المجهول الذي يكاد يعصف بالمجتمعات الغربية، والطمأنينة من الخوف علىٰ البيئة وثروات الحياة بعد تدخلات الإنسان وافساده فيها.

ويسعىٰ البحث إلىٰ توضيح هذه المهمة للعمل الخيري من خلال بيان دوره

في تحقيق التنمية المستدامة التي تتجه أنظار العالم إليها اليوم خطة إنقاذ للبشرية من مهددات الأمن البيئي والغذائي والاجتماعي، ولا يكتفي البحث بالتأصيل للعمل الخيري في أهميته ومبادئه وأهدافه، بل يعرض واحدة من تطبيقاته العملية التي أثبتت دورها قديماً وحديثاً في تحقيق التنمية المستدامة بمفهومها الإسلامي الشمولي الذي تجاوز اهتمامات الجسد، للعناية بحاجات العقول والأرواح التي بها تكون الحياة.

۞ ولتحقيق أهداف هذا البحث؛ فقد عرضت محاوره في ثلاثة مباحث وخاتمة، وهي كالآتي:

المبحث الأول: العمل الخيري، مفهومه وخصائصه ومقاصده.

المبحث الثاني: التنمية المستدامة، مفهومها ومبادئها وأبعادها.

المبحث الثالث: العمل الخيري (الوقف الخيري دراسة تطبيقية) ودوره في تحقيق التنمية المستدامة.

متضرعاً إلىٰ الله تعالىٰ أن يستعملنا في خدمة الدين، وأن يجعلنا أهلاً للخير، نافعين به أينما حللنا، إنه سميع مجيب.

المبحث الأول

العمل الخيري
مفهومه وخصائصه ومقاصده

- **المطلب الأول: مفهوم العمل الخيري، وأهميته.**
- **المطلب الثاني: خصائص العمل الخيري في الإسلام[1]**
- **المطلب الثالث: مقاصد العمل الخيري في الإسلام**

---

(١) انظر: أصول العمل الخيري، ص٣٣ وما بعدها.

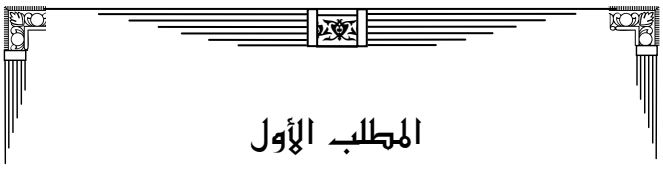

المطلب الأول

مفهوم العمل الخيري، وأهميته

يعد العمل الخيري من المفاهيم الحاضرة في ذهن كل أمة تسعىٰ للعالمية، إذ يمثل العمل الخيري مع معرفة الحق واتباعه قوام كل ديانة سماوية، أو فلسفة أرضية، وهو وإن لم يكن معروفـًا في كتب الفقهاء والتراث الإسلامي كمصطلح مركب، إلا أن معانيه التي تدور حول تقديم الخير للآخرين، وإرادة النفع لهم، والحرص علىٰ الإيجابية في الحياة، وإضافة بصمة في تطوير المجتمع، تمثل جوهر الرسالات السماوية والدعوات الإنسانية.

ومن التعريفات الجامعة لمعاني العمل الخيري: أنه كل مال أو جهد أو وقت يُبذل من أجل نفع الناس وإسعادهم، والتخفيف من معاناتهم. (١)

وفي الإشارة إلىٰ ما يحرك الإنسان لمثل هذا العمل عرّفه مؤلف كتاب أصول العمل الخيري في الإسلام: هو النفع المادي أو المعنوي الذي يقدمه الإنسان لغيره، من دون أن يأخذ عليه مقابلاً ماديـًا؛ ولكن ليحقق هدفـًا خاصـًا أكبر من المقابل المادي، وهو تحقيق الحياة الطيبة والبركة، والشعور بالسكينة القلبية والسعادة الروحية في الدنيا، وتحصيل ثواب الله تعالىٰ، والفوز بجنات النعيم في الآخرة، وهو ما لا يقدر بثمن. (٢) قال الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ

(١) بكّار، ثقافة العمل الخيري، ص١٢.

(٢) أصول العمل الخيري في الإسلام، ص٢١. (بتصرف).

وَٱسْجُدُواْ وَٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[الحج:٧٧].

وتتفق تعريفات المهتمين بالعمل الخيري علىٰ الغاية المرجوة منه، المتمثلة بخدمة المجتمع والتفاعل الاجتماعي بين مؤسسات المجتمع ومنظماته وأفراده بغية الوصول إلىٰ تعزيز ثقافة التكافل والتضامن فيه، وفي المحصلة فالعمل الخيري مظهر من مظاهر تطور الأمم وتقدمها.[١]

ومن الألفاظ ذات الصلة بالعمل الخيري: العمل التطوعي، والعمل الإنساني، وخدمة المجتمع والمسؤولية الاجتماعية، والعمل الاجتماعي،[٢] وكثيراً ما يعبّر عن العمل الخيري بصوره فيقال: أعمال البر والإحسان والصدقة، وإغاثة الملهوف، وتفريج الكرب وغيرها.

ومن ناحية أخرىٰ ينقسم العمل الخيري من حيث القائمون عليه إلىٰ: عمل خيري فردي وآخر مؤسسي، ومن حيث طبيعته إلىٰ: عمل خيري إلزامي، وآخر طوعي أو تطوعي.[٣]

۞ أما أهمية العمل الخيري عموماً فتظهر في النقاط الآتية:

١. يشكل العمل الخيري القطاع المالي الثالث في المجتمعات المعاصرة، إذ يقف رديفاً للقطاعين العام والخاص، ولا شك أن تميّز القطاع الخيري عن هذين القطاعين من حيث البواعث والأهداف يجعله فاعلاً في تنمية المجتمع، وخادماً لمصالح أفراده، ولا يزال التاريخ الإسلامي يزخر بأمثلة الإنفاق الخيري علىٰ

(١) انظر، مسدود، الريادة في العمل الخيري وربطه بالتنمية الزكاة والأوقاف نموذجاً ص٣.

(٢) انظر: الخرافي، مفهوم وتاريخ العمل الإنساني، ص٩ وما بعدها.

(٣) العفيشات، دور الاستثمار الخيري في التنمية المستدامة، ص٨.

تجهيز الجيوش وتأسيس المدارس والمساجد ودور الإيواء للأيتام والعجزة وغيرها، والذي أسهم ويسهم في دعم الاقتصاد الوطني للبلاد التي تولي العمل الخيري بمؤسساته وبرامجه عناية ورعاية.[1]

٢. يعزز العمل الخيري قيمة التماسك المجتمعي، بما يحققه من تكافل اجتماعي وتضامن إنساني تتظافر صوره في إغاثة المكروب، ونصرة المظلوم، وقضاء حاجة العاجز، ونفع الناس عمومًا والتخفيف من معاناتهم، والإسهام بالحفاظ علىٰ التواصل الاجتماعي الذي يحكم العلاقات الإنسانية.

٣. يسهم العمل الخيري في إحداث الوعي بالمسؤولية الفردية تجاه المجتمع، فيضفي طابع الإيجابية والمبادرة علىٰ الأفراد، ويزيد من انتماء الإنسان لدينه ووطنه وأمته، ويوفر البيئة الحاضنة لطاقات الشباب، والضرورية لتطوير مواهبهم وملء أوقاتهم، وهذا بدوره يقلّل نسبة الجريمة والانحلال الأخلاقي في المجتمع.

(١)".. في الولايات المتحدة الأمريكية أكثر من مليون ونصف مليون مؤسسة خيرية غير ربحية، ويبلغ عدد الذين ينخرطون في أعمال تطوعية، نحوا من ثلاثة وتسعين مليون متطوع، أي قرابة (٣٠٪) من السكان، وهم يقدمون نحوا من عشرين مليار ساعة عمل سنويا، وتستقبل المؤسسات الخيرية سنويا من الأموال ما يزيد علىٰ مائتي مليار دولار أمريكي. وفي بريطانيا أكثر من عشرين مليون شخص من البالغين يمارسون نشاطا تطوعيا منظما كل عام، وتبلغ ساعات العمل التطوعي الرسمي نحوا من تسعين مليون ساعة عمل كل أسبوع، وتقدر القيمة الاقتصادية للتطوع الرسمي بأربعين مليار جنيه إسترليني سنويا.كما جاء في تقرير لجمعية فرنسا للشؤون الاجتماعية أن أكثر من عشرة ملايين فرنسي يتطوعون آخر الأسبوع للمشاركة في تقديم خدمات اجتماعية في مجالات مختلفة. وتحظىٰ فرنسا بنحو ستمائة ألف مؤسسة خيرية، وغير ربحية". انظر، بكّار، ثقافة العمل الخيري ، ص ٧ وما بعدها.

المطلب الثاني

خصائص العمل الخيري في الإسلام[1]

يختص العمل الخيري في الإسلام بعدة خصائص تجعله عاملاً أساسيًا في نهضة الأمة وتحقيق تطورها، وهذه الخصائص ترجع في حقيقتها إلىٰ خصائص الدين الإسلامي، والذي يمثل العمل الخيري فيه واحداً من أعمدته الأساسية، بل إنه خير أعماله وأحبها إلىٰ الله تعالىٰ، ف(عن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أن رجلاً جاء إلىٰ النبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم، فقال: يا رسول الله: أي الناس أحب إلىٰ الله؟ وأي الأعمال أحب إلىٰ الله؟ فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم: «أحب الناس إلىٰ الله أنفعهم للناس، وأحب الأعمال إلىٰ الله سرور تدخله علىٰ مسلم، أو تكشف عنه كربة، أو تقضي عنه دينا، أو تطرد عنه جوعا، ولئن أمشي مع أخ لي في حاجة أحب إلي من أن أعتكف في هذا المسجد شهراً (يعني مسجد المدينة)، ومن كف غضبه ستر الله عورته، ومن كظم غيظه ولو شاء أن يمضيه أمضاه؛ ملأ الله قلبه رجاء يوم القيامة، ومن مشىٰ مع أخيه في حاجة حتىٰ يثبتها له ثبَّت الله قدمه يوم تزول الأقدام»)[2]

(١) انظر: أصول العمل الخيري، ص٣٣ وما بعدها.

(٢) الطبراني، المعجم الصغير، ج٢،ص١٠٦.

ومن خصائص العمل الخيري في الإسلام:

١. **العمل الخيري عبادة وقربة إلىٰ الله تعالىٰ:** وهذا من أكبر البواعث علىٰ العمل الخيري والصبر في سبيله، والحرص عليه، فأنْ يجعل العمل الخيري مسؤولية شرعية متوجبة علىٰ المسلمين بعضهم تجاه بعض والمخلوقات كلها ميزة لهذا الدين، وتفوّق ريادي علىٰ بقية الأمم التي يكون العمل الخيري فيها لطلب الشهرة، أو انتشار الصيت، أو لنيل ترخيص، أو وسيلة لتسويق تجارة، أو طريقًا لتهرب ضريبي، أو وجهة لعمل حضاري إنساني لا غير، أما العمل الخيري في الإسلام فواجب شرعي يُسأل صاحبه عن أدائه وعن حضّ غيره عليه، قال الله تعالىٰ: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾ [الماعون:١-٣]. ولا التفات فيه لحظوظ النفس، بل غاية مقصود صاحبه نيل رضا الله جل شأنه، سواء أعلم الناس بها أم لم يعلموا.

٢. **الشمول للفئات المستهدفة:** فالعمل الخيري موجه في الإسلام إلىٰ عموم الخلق من البشر والبهائم والطيور، بل البيئة بمكوناتها، وهذا يتناسب مع عنوان الرحمة العالمية التي جاء بها الإسلام:﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٧]. فشمول العمل الخيري للبشر يتجاوز حدود العرق والدين والقبيلة واللغة، قال تعالىٰ في مدح فاعلي الخير: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ [الإنسان:٨]. وفي شموليته للبهائم والحيوانات قال رسول الله ـ ﷺ ـ:«في كل كبد رطبة أجر»[(١)]، إضافة إلىٰ شموله للنبات والهواء والماء كما سيأتي لاحقًا.

(١) البخاري، الصحيح كتاب المساقاة، باب فضل سقي الماء، حديث رقم ٢٣٦٣.

ويعمم الشمول أيضاً من ناحية المدعوين إلىٰ العمل الخيري، فيشمل كل مقتدر، بل كل إنسان، فقيراً كان أم غنياً، أما الغني فيفعل الخير بماله وجاهه، وأما الفقير فيفعل الخير بيده وقلبه ولسانه وعمله، ولن تجد في الإسلام إنساناً لا يستطيع أن يجود في ميادين البر والخير، ولقد كان مما شكاه الفقراء إلىٰ النبي ـ ﷺ، أن الأغنياء يسبقونهم في فعل الخير إذ يتصدقون بأموالهم، ولا يجد هؤلاء الفقراء ما يتصدقون به، فبيّن لهم النبي ـ ﷺ ـ أن فعل الخير ليست وسيلته المال فحسب، بل كل نفع للناس فهو من عمل الخير،[1] فقال: «إن بكل تسبيحة صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وكل تحميدة صدقة، وكل تهليلة صدقة، وأمر بالمعروف صدقة، ونهي عن منكر صدقة»[2].

٣. **التنوع في ألوان العمل الخيري:** فَصوَرُ العمل الخيري ومظاهره لا حصر لها، لعلها تبدأ بالابتسامة بل بالشعور والاهتمام بالآخرين، وقد لا تنتهي عند عتق الرقاب أو الجهاد، أو إخراج الناس من الظلمات إلىٰ النور، وما بينهما من تفريج الكروب، وإطعام الجائع، وكسوة العريان، وكفالة اليتيم، ورعاية الأرملة، ونصرة المظلوم، وتعليم الجاهل، وإيواء النازح، ونجدة اللاجئ وغيرها الكثير، وقال نبي الخير ـ ﷺ ـ «إماطة الأذىٰ عن الطريق صدقة»[3].

وعن أبي ذر، قال: قلت: يا رسول الله، أي الأعمال أفضل؟ قال: «الإيمان بالله والجهاد في سبيله» قال: قلت: أي الرقاب أفضل؟ قال: «أنفسها عند

(١) السباعي، من روائع حضارتنا، ص١٦٨.

(٢) مسلم، الصحيح، كتاب الزكاة، باب بيان أن اسم الصدقة يقع علىٰ كل نوع من المعروف، حديث رقم(١٠٠٦).

(٣) مسلم، الصحيح، كتاب الإيمان، باب شعب الإيمان، حديث رقم (٣٥).

أهلها وأكثرها ثمنا» قال: قلت: فإن لم أفعل؟ قال: «تعين صانعا أو تصنع لأخرق» قال: قلت: يا رسول الله، أرأيت إن ضعفت عن بعض العمل؟ قال: «تكف شرك عن الناس فإنها صدقة منك علىٰ نفسك».[1]

٤. **دوام العمل الخيري واستمراريته:** يتخذ العمل الخيري في الإسلام صوراً متعددة، فمنه الإلزامي كالزكاة وبر الوالدين، ومنه الاختياري غير المقيّد بالزمان كعموم الصدقات، وإطعام الجائع، ومنه الواجب كالكفارات والنذور، ومنه المندوب ككفالة اليتيم، غير أن اصطباغ العمل الخيري عموماً بالتقرب إلىٰ الله تعالىٰ وطلب مرضاته وهو مقصد كل مسلم، جعل له أثراً في انسحاب العمل الخيري علىٰ أيام السنة كلها، وتزايده لمرات ومرات في مواسم الخيرات خاصة كرمضان، وأيام ذي الحجة وغيرها. ويكفي للإشارة إلىٰ حث الإسلام علىٰ استمرارية العمل الصالح ما جاء في الحديث عن عائشة: أن رسول الله ﷺ قال:«سددوا وقاربوا، واعلموا أن لن يدخل أحدكم عمله الجنة، وأن أحب الأعمال إلىٰ الله أدومها وإن قل»[2]،

وتقديم رسول الله ﷺ الصدقة الجارية علىٰ غيرها في امتداد الأعمال المتوافق مع امتداد الأجور، قال ﷺ:« إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، وعلم ينتفع به، وولد صالح يدعو له»[3].

---

(١) مسلم، الصحيح، كتاب الإيمان، باب بيان كون الإيمان بالله تعالىٰ أفضل الأعمال، حديث رقم:١٣٥.

(٢) البخاري، الصحيح، كتاب الرقاق، باب القصد والمداومة علىٰ العمل، حديث رقم(٦٤٦٤)

(٣) الترمذي، السنن، كتاب الأحكام، باب في الوقف، حديث رقم: ١٣٧٦،والحديث حسن صحيح.

٥. **إفاضة العمل الخيري ببركاته وثمراته علىٰ أصحابه:** لا يقتصر أثر العمل الخيري علىٰ الآخذ أو المستفيد من الأعمال الخيرية، بل يمتد وبصور مختلفة علىٰ القائمين عليه، فيشعرون بأثره في أعمارهم وأموالهم وأهاليهم، ويجدون بركته وثمرته في دنياهم قبل آخرتهم في سلامة من مصارع السوء، وتحصينات من المخاطر، وراحة نفسية، وسعادة قلبية، وقد أصّلت أمنا خديجة رضي الله عنها لذلك، وهي تُهدئ من روع رسول الله ﷺ يوم أن فاجأه الملَك في غار حراء فدخل عليها فزعا مرعوبا، قال: «يا خديجة، لقد خشيت علىٰ نفسي». فقالت: كلا والله ما يخزيك الله أبدا، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين علىٰ نوائب الحق"[1]،

فقد أيقنت رضي الله عنها قبل إسلامها في أن ثمرات العمل الخيري تنفع صاحبها في الدنيا، وتحصّنه من الخزي فيها، وأما ثوابه في الآخرة فلا يعلمه إلا الله، ويكفي في ذلك وعد الله تعالىٰ: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة:٧].

(١) البخاري، الصحيح، كتاب بدء الوحي ، حديث رقم ٣.

المطلب الثالث

مقاصد العمل الخيري في الإسلام

تنبثق مقاصد العمل الخيري في الإسلام عن مقاصد الشريعة الإسلامية عموماً، والعمل الخيري وإن كان يصنّف أساساً في جانب التحسينيات إلا أن له إسهام واضحة في توفير الحاجيّات وخدمة الضروريات الكليّة اللازمة لبقاء الحياة الإنسانية، والتي بمجموعها يحيا الإنسان بكرامة واحترام[1]، ولذا يوظف الإسلام العمل الخيري لخدمة هذه المقاصد، وتتكامل صوره في التكافل الاجتماعي بين أفراد المجتمع عن طريق الدعوة إلىٰ الإسلام ونشر تعاليمه، وسدِّ حاجات أبناء المجتمع وتخفيف معاناتهم، والحفاظ علىٰ مكونات الحياة البشرية والفكرية والاقتصادية والبيئية، ويمكن تلخيص أهداف العمل الخيري ومقاصده بالعناوين الآتية:

۞ أولاً: حفظ الضروريات الخمس.

والضروريات الخمس هي: حفظ الدين والنفس والعقل والمال والنسل، وسميت بالضروريات لأنه كما يقول الشاطبي: " لا بد منها في قيام مصالح الدين والدنيا، بحيث إذا فقدت لم تجر مصالح الدنيا علىٰ استقامة، بل علىٰ فساد وتهارج وفوت حياة، وفي الآخرة فوت النجاة والنعيم، والرجوع بالخسران

(١) اليوبي، مقاصد الشريعة الإسلامية، ص١٨٢.

المبين"[1]. وسأجمل إسهام العمل الخيري في تحقيق هذه المقاصد الضرورية بالنقاط الآتية:

١. حفظ الدين والدعوة إليه ومواجهة الاعتداءات عليه.

إن بصمات العمل الخيري في خدمة هذا المقصد واضحة بيّنة في الإسهام في حفظ الدين من جانبي الوجود والعدم، وتتمثل ببناء المساجد والمدارس الشرعية في العالم عمومـًا، وفي مناطق الأقليات المسلمة خصوصـًا، وفي نشر الكتب الشرعية والدعوية، وتأهيل الدعاة والعلماء، والإنفاق في مواجهة أهل البدع والأهواء، والرد علىٰ الشبهات الفكرية والإلحادية، وفتح الفضائيات والمواقع الإلكترونية الدعوية والعلمية، ودعم المجاهدين الصادقين، وكفالة أسر الشهداء وغيرها، وفي الحديث: «من جهز غازيـًا، فقد غزا، ومن خلف غازيـًا في أهله، فقد غزا».[2]

٢. حفظ النفس الإنسانية.

لا جرم أن الشريعة الإسلامية قد أولتْ النفس الإنسانية عناية فائقة، فشرعت من الأحكام وندبت إلىٰ الأعمال التي تجلب المصالح لها، وتدرأ عنها المفاسد، قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة:٣٢]، وإسهامات العمل الخيري في هذا المقصد كثيرة وكبيرة ومنها: الأعمال الإغاثية للمسلمين وغير المسلمين في أوقات المجاعات والزلازل والحروب، بإيواء النازحين واللاجئين، وتوفير الطعام والشراب واللباس للفقراء والمعوزين،

(١) الشاطبي، الموافقات ، ج٢، ص٧.

(٢) مسلم، الصحيح، كتاب الإمارة، باب فضل إعانة الغازي في سبيل الله، حديث رقم(١٨٩٥).

وإعتاق الرقاب، والإسهام في الدّيات والحث علىٰ العفو عن القصاص، والحملات التثقيفية ضد التدخين، وغيرها من صور التطوع والعمل الخيري الهادف إلىٰ حماية الإنسان.

٣-حفظ العقل.

والمحافظة علىٰ سلامة العقل من المفسدات المادية والمعنوية أمر متفق عليه في بداهة العقول، وقد جاءت الشرائع كلها بالمحافظة عليه، وما دعوات التوحيد والإيمان إلا سبل لسلامة العقل من الخرافات والأوهام، وتسهم الأعمال الخيرية التعليمية والتثقيفية، والمحاضرات التوجيهية في الحفاظ علىٰ العقل، وذلك من خلال التحذير من الخمر والمخدرات، والإنفاق علىٰ علاج المدمنين وتأهيلهم، ورعاية أصحاب الإعاقات العقلية وأمراض التوحّد والجنون، بالإضافة إلىٰ مواجهة اللوثات الفكرية والانحرافات العقلية بأساليب إقناعية يُعدُّ من أجلها المتخصصون والخبراء.

٤-حفظ النسل.

يُعدُّ حفظ النسل أو النسب أو العرض- علىٰ اختلاف بين العلماء مشهور- واحداً من الضرورات الخمس، شرع الإسلام الأحكام الموجدة له مثل الزواج، وبين الضوابط المتعلقة به من جانب العدم كمنع الإجهاض وترك الإنجاب وغيرها، وإسهام العمل الخيري في هذا المقصد عن طريق تيسير سبل الزواج والحث عليه، بدعم العزّاب والتوفيق بين المقبلين علىٰ الزواج، وعقد الدورات التأهيلية لهم، وإقامة الأعراس الجماعية للشباب الفقراء الراغبين في الزواج وغيرها.

٥-حفظ المال.

والمال من ضروريات الحياة التي لا تستقيم مصالح الدنيا إلا به، فهو عصب الحياة وبه قوامها كما قال الله جل وعز:﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا﴾،وللعمل الخيري دور كبير في الحفاظ علىٰ هذا المقصد من خلال الاتجار به بنية عمارة الأرض ومساعدة الخلق، وكذا استثمار الوصي لأموال اليتيم خشية الضياع والاستهلاك، ومن صور العمل الخيري في المال الصدقة والإنفاق من المال علىٰ المحتاجين له وعدم الامتناع عن مساعدتهم، وإقامة صناديق التكافل الاجتماعي، وفتح المشاريع الخيرية لدعم أوجه الخير، وكذلك المبادرات المعاصرة لحفظ النعم من الإسراف والتبذير عن طريق جمع الفائض من الطعام عن الحاجة، وإعادة تأهيله وتقديمه للفقراء.

❁ ثانياً: رفع المشقة عن الخلق بالإسهام في توفير الحاجيّات.

والحاجيّات: "هي ما كان مفتقراً إليه من حيث التوسعة ورفع الضيق المؤدي إلىٰ الحرج والمشقة اللاحقة بفوت المطلوب، فإذا لم تراع دخل علىٰ المكلفين- علىٰ الجملة - الحرج والمشقة، ولكنه لا يبلغ مبلغ الفساد العادي المتوقع في المصالح العامة.وهي جارية في العبادات، والعادات، والمعاملات، والجنايات"[(١)].

وإسهام العمل الخيري في هذا الجانب متفاوتة بين الدور الإرشادي والتثقيفي للأئمة والعلماء والوعّاظ في بيان الأحكام الشرعية للخلق، وتعريفهم بالرخص والتيسيرات التي شرعها الدين رفعاً للحرج عنهم وذلك في باب العبادات، وبين

(١) الشاطبي، الموافقات ج٢،ص٨.

الإسهام المادي في توفير بعض عادات الناس كالطعام والشراب واللباس، مثلما اشتهر في الآونة الآخيرة مبادرات شبابية خيرية لتوفير هذه الحاجيات، مثل بنك الملابس، وبنك الطعام، وأما في جانب المعاملات فتقدم شركات التمويل الإسلامية الدعم المالي والتوجيهي للمشاريع الشبابية الصغيرة، وتعد الإسهام الخيرية في الدّية المترتبة علىٰ العاقلة في القتل الخطأ صورة من صور العمل الخيري في جانب الجنايات.

۞ ثالثاً: الإسهام في التحسينيات.

والتحسينيات هي: " ما لا يرجع إلىٰ ضرورة ولا إلىٰ حاجة ولكن يقع موقع التحسين والتزيين والتيسير للمزايا والمزائد ورعاية أحسن المناهج في العادات والمعاملات"[1]. ويمكن التمثيل للعمل الخيري في هذا الجانب بالأوقاف الخيرية التي تقام لخدمة الناس، كإنشاء الحمامات العامة، والمتنزهات، وكذلك اللوحات التثقيفية والرسائل الإلكترونية والملصقات التي تحوي آداب الطعام والشراب، ودخول الخلاء، وأدعية السفر وغيرها، والله أعلم.

(١) الغزالي، المستصفىٰ، ج١،ص١٧٥.

المبحث الثاني

التنمية المستدامة،
مفهومها ومبادؤها وأبعادها

- المطلب الأول: مفهوم التنمية المستدامة.
- المطلب الثاني: مبادئ التنمية المستدامة
- المطلب الثالث: أبعاد التنمية المستدامة.

المطلب الأول

مفهوم التنمية المستدامة

ظهر أول تعريف للتنمية المستدامة في عام ١٩٨٧م، إذ جاء في تقرير بروندتلاند للجنة العالمية للبيئة والتنمية بأنها: ضرورة إشباع حاجات الأفراد في الحاضر دون المساس بقدرة الأجيال المستقبلية علىٰ تلبية حاجاتها".[١]

وبناء عليه توسعت وجهات النظر عند الغربيين في تعريف التنمية المستدامة وفق اختصاص كل منها، فجاءت تعريفات العلماء للتنمية المستدامة اقتصاديـًا واجتماعيـًا وبيئيـًا وتكنلوجيـًا، وتدور جميعها حول إيجاد حلول منطقية لضمان استمرارية العيش من جيل إلىٰ آخر، مع تحسين نوعية الحياة دون الإضرار بالموارد الطبيعية والبيئية.[٢]

ويلاحظ علىٰ هذا المفهوم للتنمية المستدامة مخالفته للرؤية الإسلامية من حيث:

- غلبة الطابع المادي علىٰ الحياة الإنسانية، إذ تقاس مستويات التنمية

---

(١) موقع وثائق الأمم التحدة علىٰ الشبكة، مكتبة داغ هومرشولد.

https://library.un.org/ar/content/678

(٢) عشي، صليحة، التنمية المستدامة في المنهج الإسلامي، منشورات جامعة باتنة، الجزائر ٢٠١٢م، ص١٣٢.

المختلفة بالمؤشرات المادية البحتة. [١]

- عدم الالتفات إلىٰ وجود مصدر للمعرفة مستقل عن المصدر البشري المشاهد والمحسوس(مفهوم: يمحق الله الربا ويربي الصدقات)، وإسقاط فكرة (معتقد) الخالق من دائرة الاعتبارات العلمية. [٢]

- التركيز علىٰ فكرة إشباع الرغبات ونيل رضا الفرد (فكرة المجتمعات الاستهلاكية)، وإغفال القيم الأخلاقية من عمارة الأرض ونفع الإنسان، وتعزيز دوره في البناء وتحقيق أهداف الاستخلاف.

وعليه فإن نظرة الإسلام للتنمية المستدامة تتسم بالتوازن والشمول والسعة، والإسلام ينظر للتنمية علىٰ أنها الحياة الطيبة، وتنبعث الرؤية التنموية في الإسلام من قضية الاستخلاف، وفلسفته في العلاقة بين الإنسان والكون ومالكهما رب العالمين. وهو مفهوم يجمع بين التنمية الروحية والمادية، ويعلي من شأن النفس الإنسانية، ويضعها موضع التكريم اللائق بها، ويمكّنها من أداء دورها في تعمير الكون وتحقيق العبودية الخالصة لخالق هذا الكون وحده، [٣] قال تعالىٰ: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [هود: ٦١].

إن مفهوم التنمية المستدامة في الإسلام يتجاوز المنظور المادي وتحقيق

(١) جمعة، مصطفىٰ عطية، الرؤية الإسلامية لقضايا التنمية المستدامة، مقال بتاريخ١٦/ ٨/ ٢٠١٦م علىٰ شبكة الألوكة،http://www.alukah.net/

(٢) المصدر السابق.

(٣) دوابة، أشرف محمد، نحو مؤشر إسلامي للتنمية المستدامة، مجلة آراء حول الخليج، العدد٨٧، ديسمبر ٢٠١١م.

الرفاهية القائمة علىٰ إشباع متطلبات الجسد، ويمتد إلىٰ متطلبات الروح والعقل التي لا تقل أهمية عن الناحية المادية في الحياة، ولذا تهدف التنمية المستدامة إلىٰ تحقيق الأمن المادي من الجوع، والأمن المعنوي من الخوف[1]، قال تعالىٰ: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ۝٣ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾ [قريش:٣-٤].

وقد عرف بعض المهتمين التنمية المستدامة في الإسلام بقوله: " عملية تطوير وتغيير قدر الإمكان نحو الأحسن، وبشكل مستمر وشامل لقدرات الإنسان ومهاراته المادية والمعنوية، تحقيقاً لمقصود الشارع من الاستخلاف في الأرض، برعاية أولي الأمر، ضمن تعاون إقليمي وتكامل أممي، بعيداً عن أي نوع من أنواع التبعية". [2]

(١) المصدر السابق.

(٢) مقدمة عمر عبيد حسنة علىٰ كتاب الهنداوي، حسن، التعليم وإشكالية التنمية، http://library.islamweb.net

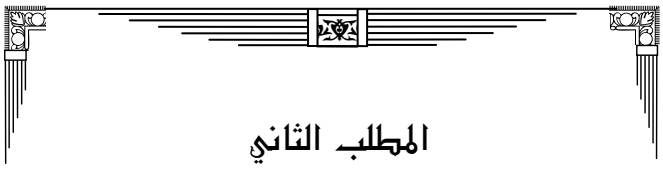

المطلب الثاني

مبادئ التنمية المستدامة[1]

يعرض البحث لأهم مبادئ التنمية المستدامة كما يراها الغرب، وسيحرص الباحث علىٰ إثبات سبق الإسلام إليها وإلىٰ غيرها من المبادئ بإيراد الشواهد الشرعية علىٰ إسهام العمل الخيري في الدعوة إليها، وهذه المبادئ هي:

١. تحقيق عدالة تستوعب الأجيال الحاضرة والمستقبلية.

فكرة الوقف بشكل عام قائمة علىٰ أساس حفظ حقوق الأجيال القادمة في الثروات، وهذا المبدأ القائم علىٰ حفظ حقوق الأجيال القادمة هو الذي جعل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يتوقف في توزيع الأراضي المفتوحة علىٰ الفاتحين؛ لأنه رأىٰ في ذلك إغداقًا علىٰ الجيل الحاضر في زمنه (جيل الفتح) علىٰ حساب الأجيال اللاحقة من أبناء الأمة، ولهذا كان يقول: "إني إن قسمتها بينكم جاء آخر الناس وليس لهم شيء"[2]، ويأتي تشجيع الدين في إقامة الصدقات الجارية من مساجد ومدارس ومستشفيات واحداً من شواهد إسهام العمل الخيري في تحقيق التنمية المستدامة؛ لحفظ حقوق الأجيال وتقديم الخدمات المتنوعة لهم عن طريق هذه الصدقات الجارية.

(١) عشي، التنمية المستدامة في المنظور الإسلامي،ص١٣٦.

(٢) مدخل لدراسة الشريعة الإسلامية، ص٥٦.

٢. العمل على تحقيق كفاية اقتصادية.

وذلك لاستغلال الموارد البيئية والطبيعية بعقلانية ورشد، بعيداً عن الإسراف والتبذير، قال تعالىٰ:﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف ٣١]. وإن كان ذلك في وجوه الخير كما جاء في الحديث: " عن سعد رضي الله عنه، قال: كان النبي ـ ﷺ ـ يعودني وأنا مريض بمكة، فقلت: لي مال، أوصي بمالي كله؟ قال: «لا» قلت: فالشطر؟ قال: «لا» قلت: فالثلث؟ قال: «الثلث والثلث كثير، أن تدع ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم عالة يتكففون الناس في أيديهم»[(١)]، وفي سبيل ذلك جعل الإسلام لمن يعمل علىٰ تحقيق التنمية حوافز دنيوية وأخروية، فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: « من أحيا أرضا ميتة فهي له» [(٢)].

٣ - المحافظة على التوازن في النظام البيئي.

وذلك من خلال مراعاة وظيفة وتنوع مكونات هذا النظام، وعدم تعدي الأنشطة الاقتصادية علىٰ القدرة الاستيعابية والإنتاجية لهذه البيئة، قال الله تعالىٰ: ﴿ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿١٩﴾ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ﴾ [الحجر:١٩ـ ٢٢]. ودعا الإسلام إلىٰ المحافظة علىٰ مقدرات الحياة وحذر من العبث فيها أوإفسادها، مبينًا عواقب تدخل الإنسان وتلاعبه بثروات الحياة حيث قال جل ذكره: ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ﴾[الروم:٤١].

---

(١) البخاري، الصحيح، كتاب النفقات، باب فضل النفقة علىٰ الأهل، حديث رقم(٥٣٥٤).

(٢) البخاري، الصحيح، كتاب المزارعة، باب من أحيا ارضًا مواتًا، رقم(٢٣٣٥) معلقًا.

وتظهر بصمات العمل الخيري في المحافظة علىٰ البيئة من خلال ما يلي:

أ. الجمعيات البيئية التطوعية التي تأخذ علىٰ عاتقها العناية بالبيئة الحيوانية عن طريق رعاية الحيوان وإقامة المحميات الخاصة بها، وقد حفظ لنا التاريخ أوقافاً خاصة للكلاب الضالة والقطط العمياء وغيرها[1] من صور حضارية، أسهم العمل الخيري في رسمها تحقيقاً للتنمية المستدامة علىٰ نطاق الثروة الحيوانية.

ب. وعلىٰ نطاق الثروة المائية تسهم الفعاليات والمبادرات الخيرية الشبابية في إحداث نوع من التوعية بضرورة ترشيد استهلاك المياه، ومواجهة النقص الحاصل فيها من خلال توزيع قطع توفير استهلاك المياه في صنابير مواضئ المساجد والحمامات العامة.

ت. وعلىٰ نطاع الثروة الحرجية والأشجار تتصدر المبادرات التطوعية في المدارس والجامعات قائمة الأعمال الخيرية الساعية لزراعة الأشجار، وقطف الثمار، وتنظيف الحدائق والمتنزهات وغيرها الكثير. وقد حثّ النبي ـ ﷺ ـ علىٰ ذلك فقال: « ما من مسلم يغرس غرسا، أو يزرع زرعا، فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة، إلا كان له به صدقة»[2].

ويمكن أن يضاف إلىٰ مبادئ التنمية المستدامة السابقة ما تختص به التنمية الإسلامية بمفهومها الواسع وشموليتها وتوازنها ومن ذلك:

١ - توفير المناخ الآمن.

والمقصود به المناخ الذي يقضىٰ فيه علىٰ الخوف والظلم، وينتصر فيه

(١) السباعي، من روائع حضارتنا، ص١٥٢ وما بعدها.

(٢) مسلم، الصحيح، كتاب المزارعة، باب فضل الغرس والزرع، حديث رقم (١٥٥٣).

للمظلوم علىٰ الظالم، وتسود فيه العدالة بين الناس علىٰ اختلافهم، ويحيا فيه الناس بأمن وأمان، وهو ما امتن الله به علىٰ قريش بقوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾ [العنكبوت:٦٧]. وقد شارك النبي ـ ﷺ ـ في الجاهلية بحلف الفضول، (تعاهد واتفاق تطوعي بين زعامات مكة، أهدافه خيرية نبيلة، قائمة علىٰ نصرة المظلوم وإرجاع الحقوق لأصحابها) قال عنه ـ ﷺ ـ بعدها: «لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفاً ما أحب أن لي به حمر النعم، ولو أدعىٰ به في الإسلام لأجبت»[1].

٢ - **تحقيق التقوى والشكر**.

وهذا مما يعتقده أهل الإيمان من أن التقوىٰ والشكر باب من أبواب البركة في الرزق، وسبيل من سبل حفظ النعم ودوامها، قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف:٩٦]. وقد وعد ربنا جل في علاه علىٰ الشكر بالزيادة في الرزق فقال:﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴾ [ابراهيم:٧]، ولعل هذه المعاني حاضرة في أذهان القائمين بالعمل الخيري، خاصة أهل الإيمان منهم، وهم يؤدون شكر نعم الله تعالىٰ عليهم قولاً وعملاً كل نعمة من جنسها، فمن شُكْر نعمة الصحة والعافية إعانة المرضىٰ والعاجزين، ومن شكر نعمة المال إنفاقه في وجوه الخير، ومن شكر نعمة العلم تعليمه لمن يطلبه أو يحتاجه، وهكذا.

(١) ابن هشام، السيرة، ج١، ص١٣٤.

المطلب الثالث

أبعاد التنمية المستدامة.

يرىٰ المختصون بالتنمية المستدامة أن أبعاد هذه التنمية وآثارها تستوعب مجالات الحياة المختلفة ومنها: [1]

١. البعد الاجتماعي.

ويتمثل في تحقيق الحياة الكريمة للناس عموماً بتوفير أسباب العيش المادية والمعنوية من صحة وتعليم وطعام ومأوىٰ وأمن وعدالة، في جو من احترام الإنسان وعدم استغلال ضعفه أو كبر سنه، وجاء في الأثر أن عمر بن الخطاب مرَّ بشيخ من أهل الذمة، يسأل علىٰ أبواب الناس، فقال: ما أنصفناك إن كنا أخذنا منك الجزية في شبيبتك، ثم ضيّعناك في كبرك. قال: ثم أجرىٰ عليه من بيت المال ما يصلحه. [2] وهذا تأصيل لفكرة الضمان الاجتماعي وكفالة الدولة لكبار السن ومن أقعد عن الكسب.

ومن السهل تسجيل دور للعمل الخيري في تحقيق هذا البعد من خلال إيواء المشردين والمنكوبين، والسعي لكفاية الفقراء والمعوزين، والعمل علىٰ إغاثتهم، وكذا كفالة الأيتام ورعاية الأرامل، وغيرها من صور الخير.

---

(١) قهوجي وحسان، المسؤولية الاجتماعية لمنظمات الأعمال.. ص١٠ وما بعدها.

(٢) ابن زنجويه، حميد بن مخلد، كتاب الأموال، ج١،ص١٦٩.

٢. البعد الاقتصادي.

وهو الهدف الأساس من التنمية المستدامة المتحصل بالحفاظ علىٰ الموارد الطبيعية، وضمان حق الأجيال فيها، ولا شك أن مثل هذه الاهتمامات جاءت بعد تغوّل وطمع الإنسان المعاصر في الحياة، مما جعله أنانياً لا يلتفت إلا لمصلحة نفسه، والعالم اليوم يعاني من شره الاستهلاك، وغزو الأسواق بالمنتجات والسلع الكمالية والترفيّة، التي حولت الإنسان إلىٰ مستهلك يساق إلىٰ السلع سوقاً دون خيار أو حاجة.

وللعمل الخيري التثقيفي والإرشادي دور كبير في الدعوة إلىٰ الاقتصاد في العيش، ومن ذلك ما جاء علىٰ لسان النبي الكريم ـ ﷺ ـ حيث قال: « ما ملأ آدمي وعاء شرا من بطن، حسب ابن آدم لقمات يقمن صلبه، فإن غلبته نفسه فثلث طعام، وثلث شراب، وثلث للنفس»[(١)].

وفي التحذير من الغزو الاستهلاكي، والتذكير بالفقراء والمعوزين، ودعوة الأغنياء إلىٰ طيّ بطونهم للفقراء، وذلك سعياً لتحقيق البعد الاقتصادي في التنمية المستدامة للدول، وجاء في الأثر أن عمر ـ رضىٰ الله عنه، كان يأتي مجزرة الزبير بن العوام بالبقيع، ولم يكن بالمدينة مجزرة غيرها فيأتي معه بالدرة فإذا رأىٰ رجلاً اشترىٰ لحماً يومين متتابعين ضربه بالدرة، وقال: "ألا طويت بطنك لجارك وابن عمك"[(٢)]. وهذا القرار من الخليفة عمل خيري إلزامي يأتي ليحفظ حق الفقراء في

(١) الترمذي، السنن، كتاب الوليمة، باب ذكر القدر الذي يستحب للإنسان من الأكل، حديث رقم(٦٧٣٨).

(٢) مسند عمر بن الخطاب، ابن كثير، ج١،ص٢٦٦.

الشراء بأسعار تناسبهم، فإن الأغنياء والمقتدرين إذا داوموا علىٰ شراء اللحم يوميـًا زادت أسعاره بازدياد الطلب عليه ولم تنخفض، فيأتي الأمر بالترشيد وجوبـًا مع المعاقبة علىٰ مخالف الفعل ليحافظ علىٰ قيم الأشياء. (١)

٣. البعد البيئي.

المحافظة علىٰ البيئة بمكوناتها المختلفة، والحرص علىٰ استفادة الأجيال منها واحد من أهم أبعاد التنمية المستدامة، حيث أدىٰ التدخل السلبي للإنسان في مكونات البيئة إلىٰ تهديدات حقيقية في الثروة الحيوانية والنباتية، وتراكم النفايات وغيرها من المخاطر البيئية التي يعاني منها العالم، ولذا جاءت صيحات اللجان البيئية منذرة بالخطر الكبير إن لم يتوقف الإنسان عن الممارسات البيئية السلبية، ويسهم في حماية العالم من خطر التعدي علىٰ الثروات الطبيعية أو زوالها، فما هي مشاركة العمل الخيري في هذا البعد؟

البعد البيئي للعمل الخيري ممتدة صوره، وكبيرة آثاره تبدأ من دِينٍ عظيم يَعدُ أتباعه بالأجر علىٰ إماطة الأذىٰ عن الطريق، ويجعل هذا العمل واحداً من أبواب الإيمان، كما في الحديث: «الإيمان بضع وستون أو سبعون بابـًا، أدناها إماطة الأذىٰ عن الطريق، وأرفعها قول لا إله إلا الله، والحياء شعبة من الإيمان» (٢) ولا تنتهي آثاره بمغفرة الذنوب لمن أحسن في سقاية حيوان بلغ به العطش مبلغـًا، فعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «بينا رجل يمشي، فاشتد عليه العطش، فنزل بئراً، فشرب منها، ثم خرج فإذا هو بكلب يلهث يأكل الثرىٰ من

(١) نمر، إدارة المال وأثرها في الحد من ظاهرة النزعة الاستهلاكية، ص٢٠.

(٢) ابن ماجه، السنن، كتاب الإيمان، باب في الإيمان، حديث رقم(٥٧).

العطش، فقال: لقد بلغ هذا مثل الذي بلغ بي، فملأ خفه، ثم أمسكه بفيه، ثم رقي، فسقىٰ الكلب، فشكر الله له، فغفر له»، قالوا: يا رسول الله، وإن لنا في البهائم أجراً؟ قال: «في كل كبد رطبة أجر». [1] ومحافظة علىٰ الثروة البيئية حرّم الإسلام التلهي بصيد الطيور، وقتلها لغير حاجة، فجاء في الحديث:« من قتل عصفورا عبثا عج إلىٰ الله عز وجل يوم القيامة يقول: يا رب، إن فلانا قتلني عبثا، ولم يقتلني لمنفعة»[2].

(١) البخاري، الصحيح، كتاب المساقاة، باب فضل سقي الماء، حديث رقم(٢٣٦٣).

(٢) النسائي، السنن، كتاب الضحايا، باب من قتل عصفوراً بغير حقها، حديث رقم(٤٤٤٦).

المبحث الثالث

العمل الخيري (الوقف الخيري دراسة تطبيقية) ودوره في تحقيق التنمية المستدامة.

يتناول هذا المبحث الوقف الخيري واحدا من أدوات العمل الخيري الإسلامي، ويسلط الباحث فيه الضوء علىٰ دور الوقف الخيري في تحقيق التنمية المستدامة، ولا عجب في ذلك، فإذا كانت التنمية المستدامة تهدف إلىٰ تحقيق تنمية شاملة في الجوانب التي تحيط بالإنسان (اجتماعياً واقتصادياً وبيئياً)، فإن الوقف نفسه كان ولا يزال له دور عظيم في تغطية هذه الجوانب، بل الوقف نفسه تنمية بشرية، وتنمية اجتماعية، وتنمية اقتصادية، حتىٰ يمكن القول إن الحضارة الإسلامية كانت حضارة الوقف، التي جسّدت عملية التنمية المستدامة قبل أن تعرفها الأدبيات الغربية،[1] ويظهر ذلك من خلال الوقوف علىٰ حقيقة الوقف، وخصائصه التنموية، وآلياته المحقِقة للتنمية المستدامة، والتي نعرضها في المطالب الآتية:

المطلب الأول: مفهوم الوقف الخيري وأهميته وخصائصه.

المطلب الثاني: علاقة الوقف الخيري بالتنمية المستدامة.

(١) عبيشات، دور الاستثمار الخيري في التنمية المستدامة، ص٨٥.

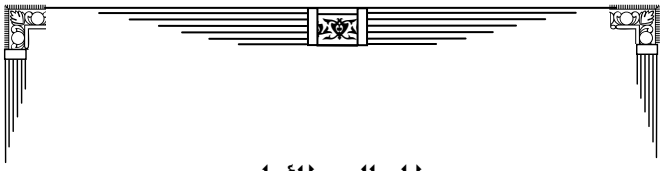

المطلب الأول

مفهوم الوقف الخيري وأهميته وخصائصه.

❁ الفرع الأول: مفهوم الوقف الخيري.

لعلّ الأخذ بالتعريف المستقىٰ من حديث النبي ـ ﷺ ـ في أن **الوقف هو تحبيس الأصل، وتسبيل الثمرة،**[1] يسلمنا من الخوض في اختلافات فقهاء المذاهب في تعريفهم للوقف، وتفاوت وجهات نظرهم في الشروط والضوابط والأموال التي تشترط فيه عند كل منهم، فهو كما يقول أبو زهرة رحمه الله: أجمع تعريف لمعاني الوقف عند الذين أجازوه[2] ؛ كونه ينأىٰ عن التفاصيل محل الاختلاف، ودليله ما جاء في حديث ابن عمر رضي الله عنهما: أن عمر بن الخطاب أصاب أرضا بخيبر، فأتىٰ النبي ﷺ يستأمره فيها، فقال: يا رسول الله، إني أصبت أرضا بخيبر لم أصب مالاً قط أنفس عندي منه، فما تأمر به؟ قال: «**إن شئت حبست أصلها، وتصدقت بها**» قال: فتصدق بها عمر، أنه لا يباع ولا يوهب ولا يورث، وتصدق بها في الفقراء، وفي القربىٰ وفي الرقاب، وفي سبيل الله، وابن السبيل، والضيف لا جناح علىٰ من وليها أن يأكل منها بالمعروف، ويطعم غير

(١) يشار إلىٰ أن هذا التعريف من اختيار الحنابلة، انظر: ابن قدامة ، المغني، ج٦،ص٣.

(٢) أبو زهرة، محمد، محاضرات في الوقف، ص٤٧.

متمول. [1] والمقصود بالأصل في الحديث أي: العين الموقوفة، وأما تسبيل الثمرة، فيعني إطلاق فوائد العين الموقوفة علىٰ الموقوف عليه.

واقترح بعضهم إضافة عبارة: تقربـًا لله تعالىٰ علىٰ التعريف ليصبح: تحبيس الأصل وتسبيل الثمرة تقربـًا لله تعالىٰ،[2] وأرىٰ أن لفظ التسبيل فيه الإشارة إلىٰ القربة المقصودة، إذ هو جعل ثمرة العين الموقوفة في سبيل الله عمومـًا.

ومن تعريفات المعاصرين الموافقة لهذا الإطلاق والمبتعدة عن التفاصيل، تعريف منذر قحف للوقف بأنه: "حبس مؤبد ومؤقت لمال، للانتفاع المتكرر به، أو بثمرته في وجه من وجوه البر العامة أو الخاصة"[3].

ويتنوع الوقف عمومـًا إلىٰ عدة تقسيمات، والذي يهمنا هنا أن الوقف من حيث الغرض منه يتنوع إلىٰ: [4]

أ. الوقف الخيري: وهو ما كان في أي من وجوه البر العامة، سواء أكان وقفـًا

(١) البخاري، الصحيح، كتاب الوقف، باب الشروط في الوقف، حديث رقم(٢٧٣٧).

(٢) صبري، عكرمة، الوقف الإسلامي بين النظرية والتطبيق، ص٤١.

(٣) قحف، منذر، الوقف الإسلامي، تطوره، إدارته، تنميته ، ص٦٢.

(٤) انظر: أبو زهرة، محاضرات في الوقف ص٤٤، قحف، الوقف الأسلامي، ص٦٢، صبري، الوقف الإسلامي، ص٨٤ وما بعدها، وينقسم الوقف من حيث التوقيت إلىٰ: مؤبد ومؤت، ومن حيث استعمال المال الموقوف إلىٰ: وقف مباشر ووقف استثماري، ومن حيث تواجده التاريخي إلىٰ: خيري، ذري، وإرصاد(وهي حبس شيء من بيت مال المسلمين، بأمر من السلطان؛ ليصرف ريعه في مصلحة من مصالح العامة كمدرسة أو مستشفىٰ)، وأعشار(وهي ما يؤخذ من زكاة الأرض التي أسلم عليها أهلها، أو التي أحياها المسلمون بالماء والنبات، وهي من الأوقاف المعتمدة زمن الدولة العثمانية).

خيرياً دينياً محضاً كالمساجد، أو وقفاً خيرياً دينياً دنيوياً كمدارس التعليم، ودور الأيتام، والتكايا، والمشافي، والمقابر وغيرها.

ب. الوقف الذُرّي أو الأهلي: وهو ما كان لمنفعة الواقف وأهله وذريته، أو لأشخاص بأعيانهم.

ت. الوقف المشترك: وهو ما كان فيه نصيب خيري ونصيب ذُرّي.

ويمثل الوقف الخيري النوع الأكبر والأشمل والأكثر استمرارية للعمل الخيري عموماً، إذ هو إدامة لعمل الخير الذي تبقىٰ ثمرته وتدوم منفعته إلىٰ يوم الدين، ولعموم وجوه البر، مما جعله أنموذجاً خيريّاً متميزاً عن بقية الأعمال الخيرية الأخرىٰ، إلزامية كانت أم طوعية.[1]

بقي أن نؤكد علىٰ أن الوقف الخيري لا ينبغي أن يقتصر علىٰ المبادرات الفردية، والتبرعات الشخصية لأبناء المجتمع، بمعزل عن مسؤولية الدولة وخططها الاستراتيجية في إقامة الأوقاف العامة المحققة لأهدافها في خدمة أفراد المجتمع، فالفاروق عمر ـ رضي الله عنه ـ كما وقف أرضه الخاصة بخيبر، أصدر باسم الدولة أمر توقيف أراضي العراق وسوادها للأجيال القادمة، وذلك حتىٰ تتكامل جهود الدولة بمؤسساتها مع جهود الأفراد بمبادراتهم، ولا تتكئ جهة علىٰ أخرىٰ.[2]

(١) عبيشات، دور الاستثمار الخيري في التنمية المستدامة، ص ١٣.

(٢) انظر، السبهاني، عبد الجبار، بحث دور الوقف في التنمية المستدامة، مجلة الشريعة والقانون، العدد (٤٤)، ٢٠١٠م.

الفرع الثاني: أهمية الوقف الخيري.

تظهر أهمية الوقف الخيري من خلال النقاط الآتية:

١. يقوم الوقف الخيري علىٰ تنمية قطاع ثالث، يتميّز عن كل من القطاع الخاص، والقطاع الحكومي، ويتحمل هذا القطاع مسؤولية النهوض بمجموعة من الأنشطة ـ هي بطبيعتها ـ لا تحتمل الممارسة السلطوية للدولة، كما يفيد إبعادها عن الدوافع الربحية للقطاع الخاص، وذلك لأن صيغة الأنشطة تدخل في إطار البر، والإحسان، والرحمة، والتعاون، لا في قصد الربح الفردي، ولا في ممارسة قوة القانون وسطوته.[1]

٢. يمثل ذراعاً فاعلاً للدولة في توجيه طاقات أبنائها نحو التكافل المجتمعي، وترسيخ قيم التضامن والأخوة والمحبة، بينهم، بما يوفره من موارد مالية ثابتة، تسهم في تحقيق الاستقرار المالي المطلوب لدعم المشاريع الدعوية والإغاثية والاجتماعية، التي تعاني غالباً من ارتفاع الكلف التشغيلية، وضعف السيولة المالية.

٣. ينحو الوقف الخيري بالأمة منحىٰ الإيثار، والتعاون، وهذا بدوره يحدث تحولاً كبيراً في اهتمامات الجيل وتطلعاته، ويجعله يتحرر من تبعية الأنا، والتقليد الاستهلاكي، إلىٰ إيجابية التشاركية والاستثمار الآمن لثروات الأرض، والعمل لمستقبل الأجيال القادمة، مع استشعار الأجر والقرب من الله تعالىٰ علىٰ أعماله.

(١) قحف، الوقف الإسلامي، تطوره ، إدارته، تنميته، ص٧٠.

الفرع الثالث: خصائص الوقف الخيري.

يتميّز الوقف الخيري بعدة خصائص تجعله يشكل نظاماً فريداً في العمل الخيري، ويمكن إجمال هذه الخصائص بما يلي:

١. الاستمرارية والتأبيد.

الهدف المرجو من حبس العين الموقوفة عن البيع أو الهبة أو التنازل، وتسبيل ثمرتها بإطلاقها في وجوه البر، لا يتأتىٰ إلا بالاستمرارية والتأبيد، وهاتان الصفتان تُدرجان الوقف الخيري ضمن الصدقات الجارية، التي لا ينقطع الأجر عن واقفها، ولا المنفعة عن الموقوف عليه فيها، وهذا ما تميّزت به الأوقاف الخيرية عن كثير من صور الأعمال الخيرية الأخرىٰ غير الوقفية كالصدقات والزكوات التي يبلغ الإنفاق عليها مبالغ طائلة، غير أن أعيانها أو منافعها تُنفَق في تحقيق هذه الأهداف الخيرية في وقته، ولا يبقىٰ لها دور بعدها.

وتحقيقاً لهاتين الخاصيّتين اعتنىٰ الفقهاء بموضوع إدارة الوقف، وصيانته ورعايته حتىٰ يستمر في عطائه، ويحافظ علىٰ بقائه، ونص الفقهاء علىٰ أن الإنفاق من غلة الوقف يتوجّه أولاً إلىٰ عمارته وصيانته، ثم إلىٰ الموقوف عليهم، جاء في فقه الحنفية: " يبدأ من غلة الوقف بعمارته.... حتىٰ يبقىٰ علىٰ ما كان عليه"[1]. ولعل هذا الأمر اليوم يعالج أكبر التحديّات التي تواجه الأملاك الوقفية التي تعاني من قِدم بناء الوقف، وتعطل وظائفه، أو ضعف كفاءته، وتراجع الرغبة فيه.

(١) ابن عابدين، حاشية رد المحتار علىٰ الدر المختار، ج٤، ص٣٦٦.

٢. الإنتاجية والاستثمار.

الوقف عمل خيري استثماري يبعد الصدقة عن الاستهلاك بتأبيد الأصل،خاصة أن مشكلة العمل الخيري أنه يزيد الاستهلاك، بينما الوقف باعتباره عملاً خيريـًا متميزاً هو بحد ذاته استثمار لتنمية الموارد ولتغطية الجهات الموقوف عليها كالمساجد، ودور العلم، والفقراء؛ لأن الوقف تحبيس للأصل وتسبيل للمنفعة، والمنفعة بحد ذاتها هي الاستثمار أو نتيجة الاستثمار. (١) ومن جهة أخرىٰ فالوقف الإسلامي ثروة استثمارية متزايدة، فالوقف الدائم في أصله وشكله العام، وسواء أكان مباشراً أم استثماريـًا يمنع بيعه واستهلاك قيمته، ويمنع تعطيله عن الاستغلال، ويجب صيانته، والإبقاء علىٰ قدرته علىٰ إنتاج السلع والخدمات التي خصص لإنتاجها، ويحرم الإنقاص منه والتعدي عليه، فالوقف إذن ليس استثماراً في المستقبل فقط، بل هو استثمار تراكمي أيضـًا يتزايد يومـًا بعد يوم. (٢)

٣. تحقيق الكفايات الاجتماعية.

من أهم خصائص الوقف الخيري اهتمامه بتلبية حاجات المجتمع الإنساني، والاستقراء التاريخي للأوقاف الخيرية يثبت إسهامها في إرساء مظلة التكافل الاجتماعي، وتوفير أسباب الحياة الكريمة للإنسانية عموماً، من خلال توفير الكفايات الاجتماعية ببناء المساجد والمدارس، والمستشفيات، وبناء

(١) الزحيلي، محمد، أستثمار أموال الوقف، ضمن أعمال مؤتمر الشارقة للوقف الإسلامي، ٢٠٠٥م.

(٢) قحف، الوقف الإسلامي، تطوره ،إ دارته، تنميته، ص ٦٨ وما بعدها.

الاستراحات والفنادق للمسافرين المنقطعين، وبيوت للفقراء يسكنها من لا يجد داراً، وأوقاف لتجهيز العرائس، ومطاعم، وأماكن للرباط علىٰ الثغور، وأوقاف خاصة يعطىٰ ريعها للجهاد وشراء الأسلحة، وأوقاف لإصلاح الطرقات والقناطر والجسور، وأوقاف النقود للإقراض الحسن، وأوقاف للترفيه كالمتنزهات والبرك، ومنها ما كان للمقابر، بل وأعجب من ذلك وقف الزبادي للأولاد الذين يكسرون الزبادي وهم في طريقهم إلىٰ البيت، وأخرىٰ لعلاج الحيوانات المريضة، ووقف للكلاب الضالة،وغيرها من روائع حضارتنا. [1]

(١) السباعي، من روائع حضارتنا، ص١٧١ وما بعدها.

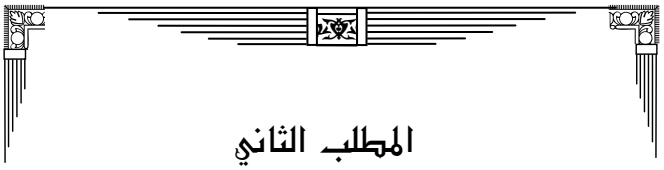

المطلب الثاني

علاقة الوقف الخيري بالتنمية المستدامة.

يمكن القول إن الوقف الخيري سابق لفكرة التنمية المستدامة ومؤصّل لموضوعها، فالوقف الخيري في مضمونه وحقيقته الاقتصادية عملية تنموية، بما يتضمنه من بناء الثروة الإنتاجية من خلال عملية استثمار جاهزة، تنظر بعين الإحسان للأجيال القادمة، والوقف الخيري يتجاوز المحتوىٰ التنموي لعملية الاستثمار إلىٰ التأكيد علىٰ الجانب الغيري المجتمعي، وهو ما ترمي إليه التنمية المستدامة.[1] فهو نمط تنموي مستدام، يتميز بثلاث مرتكزات رئيسة تجعل منه أداة فاعلة في التنمية المستدامة، وهي التأبيد الذي يقابل الاستدامة، والادخار والاستثمار اللذين يتميز بهما الوقف عن مصادر التمويل التقليدية الأخرىٰ. [2] وسأتناول هذا المطلب ضمن الفرعين الآتيين:

۞ الفرع الأول: أوجه التوافق بين الوقف الخيري والتنمية المستدامة.

يظهر التوافق بين الوقف الخيري والتنمية المستدامة في أن كلا منهما يسعىٰ لتأكيد جملة من المبادئ المشتركة، ومنها:

أ. الوقف ومبدأ استدامة التحبيس واستمرارية التسبيل: يشترك الوقف

(١) قحف، منذر، التكوين الاقتصادي للوقف في بلدان الهلال الخصيب، ص٤١٤ وما بعدها (بتصرف يسير).

(٢) العبيشات، دور الاستثمار الخيري في التنمية المستدامة، ص٨٥.

الخيري والتنمية المستدامة في هذا المبدأ الذي يمثل الركيزة الأساسية لتحقيق الأهداف الاجتماعية والاقتصادية والبيئية لكل منهما، ويتميز الوقف في هذا الجانب بالطابع الديني الإيماني بوصفه خاصية لهذه الأمة [1]، ويتمتع بحماية الدين والعرف، إذ هو صدقة جارية يتوجب حمايتها ورعايتها لتؤدي ثمرتها فيما جعلت له، ولذا منع الشارع بيعها أو هبتها، أو رهنها، أو أي تصرف يحول بينها وبين الاستمرارية والتأبيد.

ب. تحقيق العدالة في توزيع الثروات بين الأجيال: فالوقف مثله مثل التنمية المستدامة يقوم علىٰ آلية الاستدامة والربط بين الأجيال، وذلك عبر ضمانه أن تظل الأملاك الموقوفة مستغلة فيما عينت له، لا تباع ولا تتعرض إلىٰ الإتلاف بسبب شهوة عارضة أو سوء تصرف، وبالتالي تظل أملاك الوقف تنتقل من جيل إلىٰ أخر، الكل ينتفع بها دون نقصان بل إنها تتزايد مع الزمن. [2]

ت. حماية البيئة: تولي التنمية المستدامة مسألة السلامة البيئية أهمية بالغة، إذ تحرص علىٰ التوازن بين التنمية والبيئة، غير أن الوقف الخيري يتميّز في هذا المبدأ عن التنمية المستدامة في إضفاء صفة التعبد والتدين في الأنماط السلوكية والتصرفات الإنسانية تجاه البيئة، وهذا بلا شك يمثل فارقًا بين من يدعو إلىٰ حماية البيئة حرصًا علىٰ مصلحته أو حق أجيال المستقبل فيها، وبين من يحمي

(١) المسألة ليست محل اتفاق، إذ يرىٰ بعض الفقهاء أن الوقف كان في الأمم السابقة أيضًا، وعند الإمام الشافعي الوقف الذي من خصائص الأمة الإسلامية هو وقف الأرض والعقار، انظر: البيجرمي، سليمان بن محمد، الحاشية علىٰ الخطيب(تحفة الحبيب) ج ٣،ص٢٤٢.

(٢) عبد الرزاق، عادل، تعزيز استفادة العالم الإسلامي من التوافق بين الوقف الإسلامي والتنمية المستدامة، ص٥ وما بعدها.

البيئة ويحرص عليها تقربـًا إلىٰ الله تعالىٰ، وبوصفه خليفة الله في الأرض، كما سيظهر ذلك في الشواهد اللاحقة.

۞ الفرع الثاني: آثار وشواهد تحقيق الوقف الخيري لأبعاد التنمية المستدامة.

يعتني هذا الفرع في الاستدلال لسبق الوقف الخيري (أداة تطبيقية للعمل الخيري) في تحقيق التنمية المستدامة، ولذا سأقتصر علىٰ ذكر الشواهد والآثار المتعلقة ببعض أبعاد التنمية المستدامة التي تم تناولها في هذه الدراسة.

أولاً: البعد الاجتماعي.

شواهد هذا البعد كثيرة ومتعددة، ولعلي أعرض بعضها ضمن النقاط الآتية:

أ. إسهام الوقف الخيري في التنمية البشرية المستدامة عن طريق بناء المساجد والمدارس والمعاهد العلمية، والتي تهدف إلىٰ تنمية الإنسان بكل أبعاده الروحية والنفسية والعقلية والبدنية، وهي التنمية الحقيقية بلا شك، ولذا خصص الوقف الخيري الجزء الأعظم منه للأوقاف ذات المنافع المعنوية والتربوية؛ تنمية للإنسان، وتزكية لنفسه، وترقية لفكره وسلوكه. (١)

وتمثل المساجد بالأخص الحصة الأكبر من الأوقاف الخيرية، حيث يتوجه الواقفون نحو بنائها رغبة في الأجر والثواب، واسهامـًا في تحقيق نهضة المجتمع وصلاحه الاجتماعي والأخلاقي والديني، وهذه الأعداد الكبيرة للمساجد المنتشرة في بقاع الأرض لها دور كبير في خدمة أبعاد التنمية المادية والبيئية أيضـًا بما تبثه هذه المساجد، وكذا المدارس الوقفية من رسائل توعوية، وإرشادات

(١) الريسوني، أحمد ، الوقف الإسلامي، مجالاته وأبعاده، ص٦٣.

سلوكية لها أكبر الأثر في تحقيق التنمية المستدامة المنشودة.

ب. إسهام الوقف الخيري في الرعاية الاجتماعية، من خلال ما ترصده هذه الأوقاف لسد جيوب الفقر، وكفالة الأيتام، وإغاثة المحتاجين، وما لهذا من دور في تحقيق التكافل الاجتماعي علىٰ مستوىٰ الأفراد والمجتمعات.

ولقد حفظت لنا كتب التاريخ صوراً لا حصر لها في إسهام الوقف الخيري في تحقيق الرعاية الاجتماعية المستدامة للأفراد، وتأمين الحياة الكريمة لهم، فقد وظفت أموال الأوقاف الخيرية في إيواء اليتامىٰ واللقطاء ورعايتهم، وكانت هناك أوقاف مخصصة لرعاية المقعدين والعميان والشيوخ، وأوقاف لإمدادهم بمن يقودهم ويخدمهم، وأوقاف لتزويج الشباب والفتيات ممن تضيق أيديهم وأيدي أوليائهم عن نفقاتهم، وأنشئت في بعض المدن دور خاصة لإيواء العجزة المسنين والقيام علىٰ خدمتهم، وأقيمت الموائل والخانات لكي ينزل بها المسافرون في حلهم وترحالهم، وامتد نطاق الخدمات الاجتماعية التي يشملها نظام الوقف حتىٰ تضمن مدافن الصدقة لمن لا يقوىٰ علىٰ دفع تكاليف دفن ميته.

ت. إسهام الوقف الخيري في الرعاية الصحية: حيث أسهم الوقف في تطوير حركة الطب سواء أكان ذلك علىٰ مستوىٰ الإنفاق علىٰ التأليف في كتب الطب والصيدلة، أم علىٰ مستوىٰ بناء المستشفيات التي كانت تعرف قديماً بالبيمارستانات.

ثانياً: البعد الاقتصادي.

ومن إسهامات الوقف الخيري في تحقيق التنمية المستدامة في بعدها الاقتصادي ما يلي:

أ. إسهام الوقف الخيري في دعم القوة الاقتصادية للدولة عن طريق الحد من الإنفاق العام للدولة علىٰ بعض المرافق التي تولىٰ الوقف أمرها مثل المساجد والمدارس، ومن ناحية أخرىٰ من خلال قيام الأوقاف بعمليات إنتاج سلع مختلفة وخدمات، وتنفيذ مشاريع ضخمة في قطاعات حيوية وما يتبع ذلك من توفير فرص عمل. [١] ومن الشواهد علىٰ هذه الإسهام أن الأراضي الزراعية الموقوفة في مصر بلغت قرابة ثلث أراضي الدولة، وكان لها إسهامات كبيرة في الثروة الزراعية المصرية، ويضاف إلىٰ ذلك المساجد الموقوفة والمدارس وعيون الماء والآبار وغيرها من المرافق الحيوية التي قدمها الوقف الخيري، اسهاما منه في الحد من ظاهرة الإنفاق الحكومي. [٢]

ب. إسهام الوقف الخيري في إقامة مشاريع البنية التحتية، من إقامة الجسور والقناطر والسكك الحديدية، وتعبيد الطرق للمسافرين بصفة عامة والحجاج بصفة خاصة، ووقف السفن والعبّارات لنقل الناس عبر الأنهار، وتوفير البذور للفلاحين والمزارعين، وإقامة المدارس والمستشفيات، وإصلاح المباني والأسواق، وتظهر أهمية هذه الأوقاف الخيرية في أنها ترتبط بالمصالح العامة

(١) عبد الله، طارق، دعم الوقف للموازنة العامة للدولة، مجلة أوقاف ، العدد ١٦، سنة ٢٠٠٩م.

(٢) أبو زهرة ، محاضرات في الوقف، ص٦.

للناس، وبضرورتها لتسيير الحياة الاقتصادية. [١]

ت. الإسهام في نشر ثقافة القرض الحسن، عن طريق ما يمكن تسميته ببنوك التسليف، وهو مقصد رغب الشارع فيه؛ لقضاء حوائج الناس، وسد خلة المكروبين، وفيه أيضاً جانب اقتصادي متمثل في تنشيط الاستثمار والحركة التجارية عن طريق تسليف النقود، في وقف خاص للنقود أجازه كثير من الفقهاء قديماً، وخاصة المالكية. [٢]

ثالثاً: البعد البيئي.

ومن إسهامات الوقف الخيري في التنمية المستدامة في بعدها البيئي، ما يلي:

أ. إسهام الوقف الخيري في العناية بالحيوان، عن طريق إقامة مؤسسات لعلاج الحيوانات المريضة، أو لإطعامها، أو لرعيها حين عجزها، كما هو شأن المرج الأخضر في دمشق، الذي كان وقفاً للخيول والحيوانات العاجزة المسنة ترعىٰ منه حتىٰ تلاقي حتفها. ومثل ذلك يقال في وقف علىٰ الكلاب الضالة، أو القطط التي لا مأوىٰ لها، أو صنف من الطيور المهاجرة، وغيرذلك مما سبق فيه الإسلام تعاليم الإنسانية وجمعيات حقوق الحيوان المعاصرة. [٣]

ب. الإسهام في توفير الأمن المائي، وكان أول وقف في الإسلام متوجه لهذه الغاية، وقْف سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه، عندما وقف بئر رومة علىٰ

(١) السبهاني، دور الوقف في التنمية المستدامة، ص٢٦.

(٢) انظر: الدسوقي، محمد بن أحمد، الحاشية علىٰ الشرح الكبير، ج٤،ص٧٧.

(٣) السباعي، من روائع حضارتنا، ص١٧٥.

المسلمين، وحقق لهم بذلك أمنًا مائيًا وقاهم به تسلط اليهود عليهم واستبدادهم في استعماله. وفي الحديث: قال النبي ﷺ: «من يشتري بئر رومة، فيكون دلوه فيها كدلاء المسلمين» فاشتراها عثمان رضي الله عنه، [1]

ت. الإسهام في الحفاظ علىٰ الأراضي الزراعية من التصحر، وذلك عن طريق وقف البساتين والأراضي الزراعية، والمحافظة علىٰ خصوبتها وانتاجها، ولا شك أن استدامة ثمرتها تعني توفير الأمن الغذائي للمجتمع [2].

(١) البخاري، الصحيح، كتاب المساقاة، باب في الشرب، والحديث معلق. وبئر رومة: اسم لبئر معروفة في المدينة. زمعنىٰ قوله: (دلوه فيها كدلاء المسلمين) أي: يوقفها ويكون نصيبه منها كنصيب غيره من المسلمين دون مزية، تعليق البغا علىٰ الحديث ج٣،ص١٠٩.

(٢) عبد الرزاق، تعزيز استفادة العالم الإسلامي من التوافق بين الوقف الإسلامي والتنمية المستدامة، ص١١.

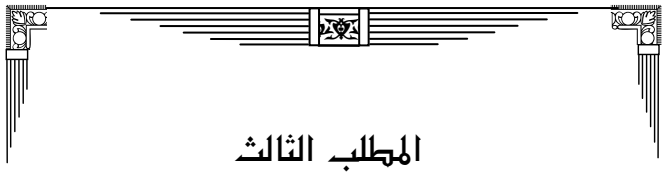

المطلب الثالث

آليات الوقف الخيري المعاصر في تحقيق التنمية المستدامة.

المعروض في هذا المطلب هو إلماحة إلىٰ مشاريع معاصرة للوقف الخيري المعاصر، دون الخوض في تفاصيل أنواعه وأحكامه، يهدف إلىٰ تأكيد صلاحية الوقف الخيري لمواكبة حاجات ومتطلبات التنمية المستدامة من خلال مشاريع إسلامية إبداعية كان لها السبق في خدمة الإنسانية عموماً.

۞ أولاً: الصناديق الوقفية:

والصناديق الوقفية هي الإطار الأوسع لممارسة العمل الوقفي، ومن خلالها يتمثل تعاون الجهات الشعبية مع المؤسسات الرسمية في سبيل تحقيق أهداف التنمية الوقفية. وعرفها الزحيلي بأنها: عبارة عن تجميع أموال نقدية من عدد من الأشخاص، عن طريق التبرع أو الأسهم لاستثمار هذه الأموال، ثم إنفاقها أو إنفاق ريعها وغلتها علىٰ مصلحة عامة تحقق النفع للأفراد والمجتمع، بهدف إحياء سنة الوقف، وتحقيق أهدافه الخيرية، وتكون لها إدارة تعمل علىٰ رعايتها واستثمار أموالها وتوزيع الأرباح.[1]

(١) الزحيلي، محمد ، الصناديق الفقهية المعاصرة(تكييفها حكمها أشكالها مشكلاتها)، ص٤.

وتمثل الصناديق الوقفية التابعة للأمانة العامة للأوقاف في الكويت[1]تجربة رائدة في العمل الخيري التنموي المستدام، إذ تهدف الصناديق الوقفية إلىٰ المشاركة في الجهود التي تخدم إحياء سنة الوقف، عن طريق طرح مشاريع تنموية في صيغ إسلامية للوفاء باحتياجات المجتمع، وطلب الإيقاف عليها، بالإضافة إلىٰ حسن إنفاق ريع الأموال الموقوفة لتلبية الاحتياجات الاجتماعية والتنموية التي يفرزها الواقع، من خلال برامج عمل تراعي تحقيق أعلىٰ عائد تنموي، وتحقق الترابط فيما بين المشروعات الوقفية، وبينها وبين المشروعات الأخرىٰ التي تقوم بها الأجهزة الحكومية وجمعيات النفع العام.وفي ضوء هذه الفلسفة التي وقفت وراء عملية إنشاء الصناديق وتنظيم عملها، تم إنشاء أربعة صناديق وقفية تتخصص في مجالات مختلفة، وهي:

- الصندوق الوقفي للقرآن الكريم.
- الصندوق الوقفي للتنمية العلمية و الاجتماعية.
- الصندوق الوقفي للتنمية الصحية.
- الصندوق الوقفي للدعوة والإغاثة.

(١) موقع الأمانة العامة للأوقاف بالكويت، http://ww2.awqaf.org.kw تاريخ الزيارة ٢٠١٨/٧/٢٥.

۞ ثانياً: الصكوك الوقفية: [1]

هي عبارة عن وثائق أو شهادات خطية متساوية القيمة قابلة للتداول تمثل المال الموقوف. وتقوم علىٰ أساس عقد الوقف، ويقصد بتصكيك الموارد الوقفية تجزئة المال المطلوب لإنشاء وقف جديد إلىٰ أجزاء متساوية ويدعىٰ المحسنون للاكتتاب بها.

وتهدف الصكوك الوقفية إلىٰ مشاركة أكبر نسبة ممكنة من طبقات المجتمع في الوقف الخيري، والخروج من تأطير الوقف بإطار الأغنياء والموسرين فقط، وذلك حرصاً علىٰ نشر ثقافة الوقف الخيري، وإسهاماً من المجتمع بعمومه في توفير حاجاته والوقوف إلىٰ جانب أبنائه وتلبية متطلبات الحياة.

وتتنوع الصكوك الوقفية إلىٰ:

- الأسهم الوقفية.
- السندات الوقفية.
- سندات المقارضة.

(١) انظر: حطاب، كمال، الصكوك الوقفية ودورها في التنمية، جامعة اليرموك٢٠٠٦، رملي، حمزة، فرص تمويل واستثمار الوقف الجزائري بالاعتماد علىٰ الصكوك الوقفية، جامعة سطيف ٢٠١٢، بن زيد ، ربيعة، الصكوك الوقفية كآلية لتحقيق التنمية المستدامة، مؤتمر التمويل الإسلامي غير لبؤبحي، جامعة قاصدي مرباح،٢٠١٣م.

الخاتمة
وفيها أهم النتائج

توصل البحث إلىٰ مجموعة من النتائج، هي:

- من التعريفات الجامعة لمعاني العمل الخيري: أنه كل مال أو جهد أو وقت يُبذل من أجل نفع الناس وإسعادهم، والتخفيف من معاناتهم.

- تظهر أهمية العمل الخيري في كونه يشكل قطاعـًا ماليـًا ثالثـًا، يحمل علىٰ مسؤوليته القيام بواجب المسؤولية الاجتماعية وتقيق التكافل الاجتماعي، وإحداث التغيير في الأفراد نحو الإيجابية وخدمة الإنسانية، وتحقيق أسباب السعادة الدنيوية والأخروية.

- ويختص العمل الخيري بكونه قربة إلىٰ الله تعالىٰ، وأن آثاره وصوره تتسم بالشمولية والتنوع والاستمرارية، وبجلبه البركة والتوفيق للعاملين به.

- يهدف العمل الخيري عمومـًا إلىٰ خدمة مقاصد الوجود الإنساني الضرورية والحاجية والتحسينية.

- **التنمية المستدامة**: عملية تطوير وتغيير قدر الإمكان نحو الأحسن، وبشكل مستمر وشامل لقدرات الإنسان ومهاراته المادية والمعنوية؛ تحقيقـًا لمقصود الشارع من الاستخلاف في الأرض، برعاية أولي الأمر، ضمن تعاون إقليمي وتكامل أممي، بعيداً عن أي نوع من أنواع التبعية. وهي تهدف إلىٰ تحقيق

مبادئها في العدالة بين الأجيال، والمحافظة علىٰ البيئة، وتحقيق الكفايات الاقتصادية الكفيلة بحفظ حقوق الأجيال القادمة.

• استطاع البحث بفضل الله الوقوف علىٰ الأدلة والشواهد التراثية والحاضرة التي تشهد بقدم السبق للعمل الخيري في تحقيق التنمية المستدامة، وذلك من خلال عرض واحدة من أدوات العمل الخيري المتعلقة بالوقف الخيري المستدام، وتناول مقاصده وآلياته المعاصرة.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١- البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه = صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٢٢هـ.

٢- بكّار، عبد الكريم، ثقافة العمل الخيري، دار السلام، القاهرة، ط١، ٢٠١٢م.

٣- البيجرمي، سليمان بن محمد، تحفة الحبيب علىٰ شرح الخطيب = حاشية البجيرمي علىٰ الخطيب، دار الفكر، بدون طبعة، تاريخ النشر ١٩٩٥م.

٤- الترمذي، محمد بن عيسىٰ، سنن الترمذي، تحقيق: أحمد شاكر، مكتبة ومطبعة مصطفىٰ البابي الحلبي – مصر، ط٢، ١٩٧٥م.

٥- جمعة،مصطفىٰ عطية، الرؤية الإسلامية لقضايا التنمية المستدامة، مقال علىٰ شبكة الألوكة، تاريخ الإضافة١٦/ ٨/ ٢٠١٦م.

٦- حطاب، كمال، الصكوك الوقفية ودورها في التنمية، موقع مركز واقف للوقف والوصاي، تاريخ الإضافة ١٢/ ٧/ ٢٠١٢.

٧- الخرافي، عبد المحسن عبد الله،مفهوم وتاريخ العمل الإنساني، من اصدارات الاتحاد العالمي للمؤسسات الإنسانية.

٨- الدسوقي، محمد بن أحمد، الحاشية علىٰ الشرح الكبير، دار الفكر، بدون

طبعة.

٩- دوابة، أشرف محمد، نحو مؤشر إسلامي للتنمية المستدامة، مجلة آراء حول الخليج، العدد٨٧، ديسمبر ٢٠١٠.

١٠- رملي، حمزة، فرص تمويل واستثمار الوقف الجزائري بالاعتماد علىٰ الصكوك الوقفية، جامعة سطيف ٢٠١٢.

١١- الزحيلي، محمد، أستثمار أموال الوقف، ضمن أعمال مؤتمر الشارقة للوقف الإسلامي، ٢٠٠٥م.

١٢- أبو زهرة، محمد، محاضرات في الوقف، اصدار جامعة الدول العربية، معهد الدراسات العربية العالية، ١٩٥٩م.

١٣- الريسوني، أحمد، الوقف الإسلامي، مجالاته وأبعاده، دار الكلمة لنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ٢٠١٤م.

١٤- الزحيلي، محمد، الصناديق الفقهية المعاصرة(تكييفها حكمها أشكالها مشكلاتها)، موقع وقف علىٰ الشبكة.

١٥- بن زيد، ربيعة، الصكوك الوقفية كآلية لتحقيق التنمية المستدامة، مؤتمر التمويل الإسلامي غير لبؤبحي، جامعة قاصدي مرباح،٢٠ ٣م.

١٦- ابن زنجويه، حميد بن مخلد، كتاب الأموال، تحقيق: شاكر ذياب، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط١، ١٩٨٦م.

١٧- السباعي، مصطفىٰ حسني، من روائع حضارتنا، دار ابن حزم، ط١، ٢٠١٠م.

١٨- السبهاني، عبد الجبار، بحث دور الوقف في التنمية المستدامة، مجلة الشريعة

والقانون، العدد (٤٤)، ٢٠ ٠م.

١٩- الشاطبي، ابراهيم بن موسىٰ، الموافقات في أصول الشريعة، تحقيق: خالد شبل، مؤسسة الرسالة، بدون طبعة، ١٩٩٩م.

٢٠- صبري، عكرمة، الوقف الإسلامي بين النظرية والتطبيق، دار النفائس، عمان، ط٢، ٢٠١١م.

٢١- الطبراني، سليمان بن أحمد، المعجم الصغير (الروض الداني)، تحقيق: محمد شكور، المكتب الإسلامي، دار عمار، عمان، ط١، ١٩٨٥م.

٢٢- ابن عابدين، محمد أمين، حاشية رد المحتار علىٰ الدر المختار، دار االفكر، بيروت، ط٢، ١٩٩٢م.

٢٣- عبد الله، طارق، دعم الوقف للموازنة العامة للدولة، مجلة أوقاف، العدد٦، سنة ٢٠٠٩م.

٢٤- عبد الرزاق، عادل، تعزيز استفادة العالم الإسلامي من التوافق بين الوقف الإسلامي والتنمية المستدامة، ملتقىٰ حول: مقومات تحقيق التنمية المستدامة في الاقتصاد الإسلامي، جامعة قالمة، ٣و٤/ ١٢/ ٢٠١٢م.

٢٥- عشي، صليحة، التنمية المستدامة في المنهج الإسلامي، منشورات جامعة باتنة، الجزائر ٢٠١٣م.

٢٦- العفيشات، أمينة، دور الاستثمار الخيري في التنمية المستدامة، الوقف أنموذجـًا، رسالة ماجستير، جامعة حسيبة بن بوعلي، الجزائر، ٢٠١٥م.

٢٧- الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، المستصفىٰ، تحقيق: محمد عبد السلام، دار الكتب العلمية، مصر، ط١، ١٩٩٣م.

٢٨- ابن قدامة، عبد الله بن أحمد، المغني، دار القاهرة، القاهرة، بدون طبعة، ١٩٦٨م.

٢٩- قحف، منذر، الوقف الإسلامي، تطوره، إدارته، تنميته، دار الفكر، دمشق، ط١، ٢٠٠٠م.

٣٠- قحف، منذر، التكوين الاقتصادي للوقف في بلدان الهلال الخصيب، بدون ناشر وطبعة، علىٰ موقعه الخاص.

٣١- أصول العمل الخيري في الإسلام، دار الشروق، مصر، ط٢، ٢٠٠٨م.

٣٢- مدخل لدراسة الشريعة الإسلامية، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٠م.

٣٣- قهواجي وحسان، المسؤولية الاجتماعية لمنظمات الأعمال، مؤتمر دور المسؤولية الاجتماعية للمؤسسات الصغيرة والمتوسطة في ترسيخ استراتيجية التنمية المستدامة، جامعة مجمد بومدراس، الجزائر، ١٤و١٥/ ١١/ ٢٠١٦.

٣٤- ابن كثير، اسماعيل بن عمر، مسند عمر بن الخطاب، تحقيق: عبد المعطي قلعجي، دار الوفاء، المنصورة، ط١، ١٩٩١م.

٣٥- ابن ماجه، محمد بن يزيد، السنن، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، مصر، بدون طبعة.

٣٦- مسدود، الريادة في العمل الخيري وربطه بالتنمية- الزكاة والأوقاف نموذجًا، مجلة الاقتصاد الإسلامي العالمية، العدد١٣، حزيران/ ٢٠١٨م.

٣٧- مسلم، أبو الحسن بن الحجاج، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلىٰ رسول الله ﷺ، المعروف بصحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون طبعة.

٣٨- نمر، إياد، توجيهات السنة النبوية في إدارة المال وأثرها في الحد من ظاهرة النزعة الاستهلاكية، مؤتمر إدارة المال والأعمال في السنة النبوية، كلية الدراسات الإسلامية والعربية، دبي، ٢٠١٤م.

٣٩- ابن هشام، عبد الملك، السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق: مصطفىٰ السقا وآخرون، مكتبة ومطبعة مصطفىٰ البابي الحلبي، مصر، ط٢، ١٩٥٥م.

٤٠- اليوبي، محمد سعد بن أحمد، مقاصد الشريعة الإسلامية، وعلاقتها بالأدلة الشرعية، دار الهجرة للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٩٩٨م.

المواقع الالكترونية:

- https://library.un.org/ar/content/678 . موقع وثائق الأمم التحدة، مكتبة داغ هومرشولد

http://ww2.awqaf.org.kw موقع الأمانة العامة للأوقاف بالكويت،

- http://library.islamweb.net الهنداوي، حسن، التعليم وإشكالية التنمية،